الحج موعد العشاق وفرصة لنصرة المظلومين في فلسطين

الدكتور محمدمهدي ايماني بور

يعتبر الحج إحدى الفرص المناسبة والقيمة للتطرق الى القضية الفلسطينية، وعلى المسلمين-انطلاقا من شعورهم بالواجب- أن ينتهزوا هذه الفرصة الثمينة وأن يتخذوا خطوات جادة في مجال تنسيق وتوجيه الآليات والأمكانيات الفعالة الكفيلة لحل هذه القضية. فالقضية الفلسطينية قد جرحت قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم منذ أكثر من سبعة عقود ورسمت دوراً دمويًا في صحيفة العالم الإسلامي.ويمكننا في هذا الصدد، طرح العديد من القضايا الرئيسية كعناوين فكرية، وطبعا ينبغي تقديم حل عملي وتنفيذي لكل منها. ومن الواضح في هذا الصدد هو أن المثقفين والنخب السياسية يعتبرون المسؤولين الاوائل في عملية حل القضية الفلسطينية. لكن القضايا التي يمكن طرحها كموضوع رئيسي واساسي لهذا الموضوع هي كما يلي:

- تبيان المؤامرات والخدع الواسعة للأستكبار ضد المسلمين وخاصة الشعب الفلسطيني.
- مشروع تطبيع العلاقات. الممهدات والتداعيات واستراتيجيات المواجهة.
- واجب النخب والعلماء والإعلاميين في الظرف الراهن للدفاع عن فلسطين.
- تبيان الدلائل والمستندات العلمية والقانونية الدقيقة في الدفاع الشامل عن فلسطين.
- دراسة وتحليل معوقات المواجهة الموحدة للأمة الإسلامية مع المحتلين دعماً لفلسطين.

ويتلخص الشرح العام لكل من هذه القضايا بعد مقدمة عن الحج وعلاقته بقضية فلسطين:

مناسك الحج وعلاقتها بموضوع فلسطين

بعد إعلانه عمومية الحج على المسلمين، أنزل الله تعالى آيات مختلفة على نبي الإسلام الكريم في مواقف مختلفة تعبر عن عموميات مناسك الحج، والتي لها معاني أخرى في قلوبهم مثل غيرها من آيات القرآن. بالإضافة إلى المفاهيم الواضحة والصريحة، وقد تم نقل هذه المفاهيم إلى المسلمين أولاً من قبل خاتم الانبياء ومن ثم بشكل نسبي من قبل أهل بيت النبوة. واحد آيات الحج هي الاية الثالثة من سوره التوبة حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾ وهذه الآية التي نزلت على الرسول (صلّى‌الله‌عليه‌وآله) في السنة التاسعة للهجرة والنبي يدوره عهد إعلانها إلى أمير المؤمنين الإمام علي (ع). ضمن اشارتها الى وجوب الحج على جميع المسلمين، تأمر علنا وبصراحة ايضًا على اعلان البراءة من المشركين. وهناك نقاط في هذه الآية تبين حالاتها الواضحة. أولاً، ان هذه الآية تشير الى أن مراسم الحج واجب سياسي وفريضة سياسية، فلولا ذلك لما كان هناك داعٍ للنبي لنقل آيات البراءة للناس في موسم الحج. من هنا فالحج بهذا المعنى الواضح يعتبر أفضل مكان للبراءة من المشركين، والله تعالى في كلامه ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم

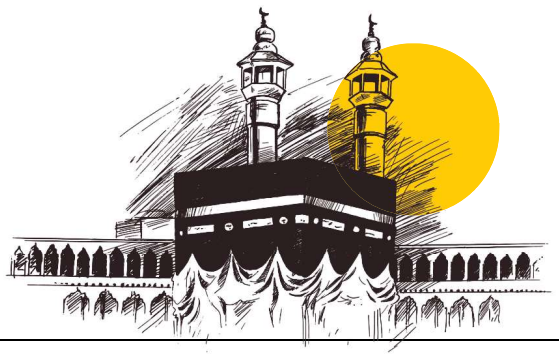

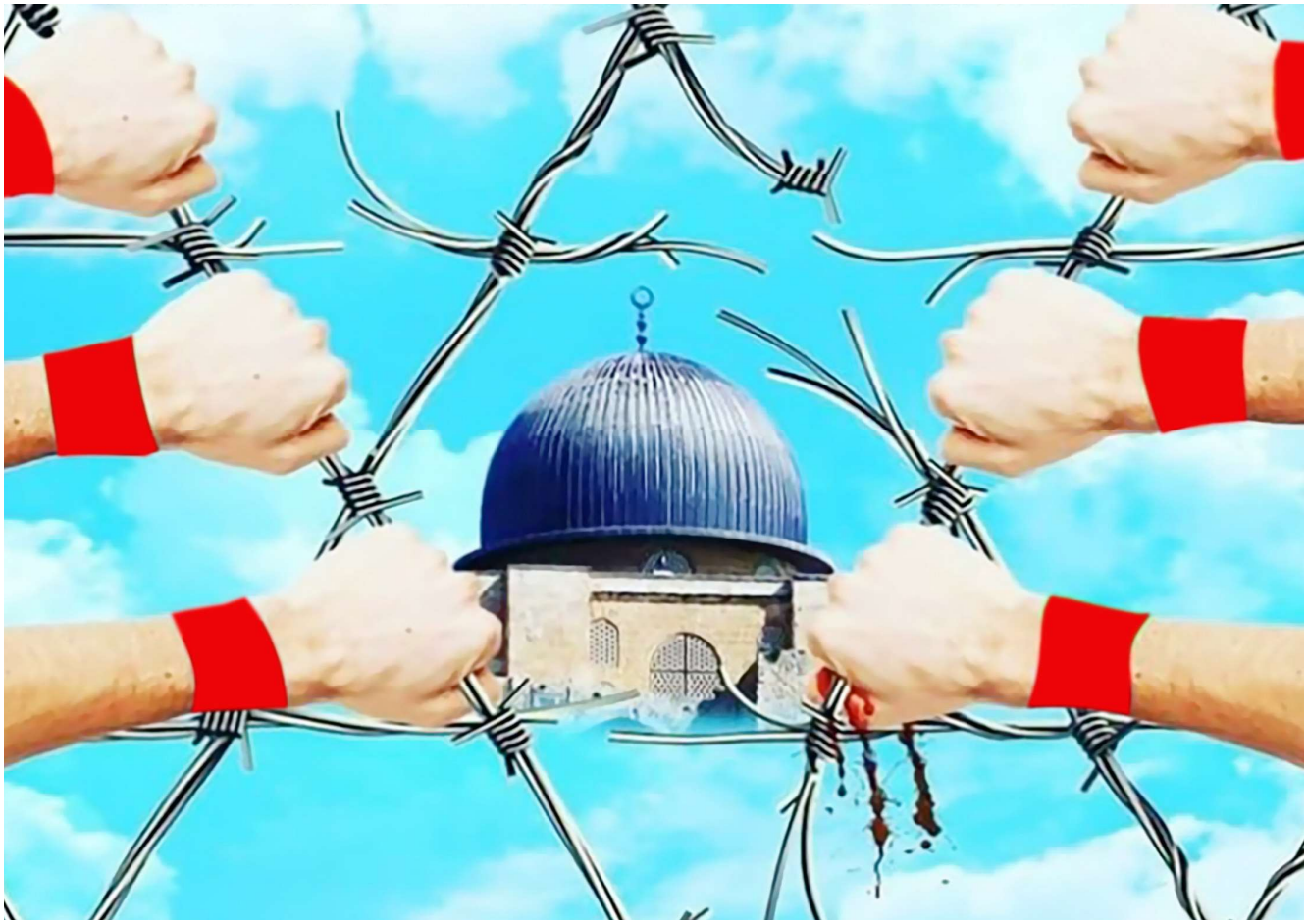

أرجأ إعلان براءة المشركين إلى يوم الحج الأكبر.ثانيًا، ان القرآن اهتم بالجوانب الفردية والاجتماعية للحج. واذا تم الحديث عن الذكر الالهي في الحج فقد تم الى جانبه اصدار امر البراءة من المشركين ايضا. النقطة الثالثة: الاهتمام بموضوع الوحدة في الحج : صحيح أنه يجب تنفيذ أمر إعلان البراءة من المستكبرين في الحج، الا انه أي خلاف مع الإخوة المسلمين في الحج يعتبر امر ممنوع وحرام. ﴿فَلا رَفثَ وَ لافُسوقَ وَ لاجِدالَ فِىالحَجّ﴾.

النقطة الرابعة: حول فلسفة هذا الأمر الإلهي هي أنه "إذا تخلص العالم الإسلامي والأمة الإسلامية في يوم من الأيام من وجود الأعداء وحصل مثل هذا الأمر على ارض الواقع، فإن البراءة ستفقد أيضاً فلسفتها ". لكن في ظل وجود الأعداء وخصوماتهم الراهنة، يعتبر تجاهل العدو وعدم الاهتمام بموضوع البراءة خطأ كبيرا وفادحا. وبحسب ما ورد فإن موضوع إعلان البراءة من المشركين ونصرة المظلوم ومساعدته هو موضوع مذكور في النص الصريح للقران الكزيم، من هنا فأن كل مسلم بحكم انتمائه الإسلامي مسؤول ازاء موضوع نصرة الشعب الفلسطيني المظلوم.

كشف المؤامرات والخدع الواسعة للأستكبار

إن معرفة العدو وأساليبه يعتبر من الركائز الأساسية. في الأول هو أنه لا ينبغي تجاهل وجود العدو الحاقد ونسيانه، وتكرار مراسم رمي الجمرات في الحج علامة رمزية على تذكر العدو دائما وعدم نسيانه. ثانياً، لا ينبغي أن يخطئ المرء في معرفة العدو الاول والرئيسي الذي يتمثل اليوم في جبهة الأستكبار العالمي وشبكة الصهيونية العالمية المجرمة. وثالثاً، يجب معرفة أساليب هذا العدو العنيد، ومنها اثارة التفرقة بين المسلمين، واشاعة الفساد السياسي والأخلاقي، وتهديد النخب وشراء ذممها، وممارسة الضغوط الاقتصادية على الشعوب، واثارة الشكوك في المعتقدات الإسلامية، اذ ينبغي معرفة هذه الأساليب بشكل جيد ومن ثم ينبغي عبر ذلك معرفة العملاء والجهلة الذين يتعاملون مع هذه الجهات بعلم أو بغير علم.

ان الحكومات الاستكبارية المتعجرفة، وفي مقدمتها اميركا، تخفي وجهها الحقيقي بمساعدة ألأجهزة الإعلامية المتطورة الشاملة، حيث نراها ومن خلال الادعاء بدعم حقوق الإنسان والديمقراطية، تسلك

> العدو الإسرائيلي ليس مجرد عدو مثل الأعداء الآخرين، وانما عداوته لنا كأمة مسلمة -حسب نص القرآن الكريم- أشد وأقسى. فالنظام الصهيوني في الواقع انبثق من رحم الجرائم والإبادة الجماعية وارتكب أبشع الجرائم بحق الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية. وإن السلوك الدائم لهذا النظام هو سلوك إجرامي وعدائي تجاه الأمة الإسلامية، وخاصة تجاه الشعب الفلسطيني.

طرقًا غريبة لخداع الرأي العام للشعوب والأمم. وحين تتحدث هذه الدول الاستكبارية كذبًا وزورا عن حقوق الانسان نلاحظ ان الشعوب الإسلامية تشعر بكل جوارحها بجحيم نار فتنهم ومؤامراتهم أكثر من أي وقت مضى. واذا القينا نظرة على الشعب الفلسطيني المظلوم الذي يتعرض يوميًا لأنواع الظلم والعدوان ويعاني منذ عقود من جرائم النظام الصهيوني وداعميه. أو إلى دول أفغانستان وباكستان والعراق، التي بدل الإرهاب -الذي صنعته الدول الاستكبارية واذنابها في المنطقة- حياة شعوبها الى حياة جهنمية مرة. أو سوريا التي تعرضت الى موجة كبيرة من العدوان من قبل الدول الاستكبارية السلطوية وعملائها الإقليميين بسبب دعمها لتيار المقاومة ضد الصهيونية، فورطوها في حرب أهلية دامية وطاحنة. او الى البحرين أو ميانمار حيث يتعرض المسلمين في كل منهما بطريقة ما للمحن والاهمال، فيما يحظى أعدائهم بانواع الدعم؛ أو إلى دول أخرى تتعرض للتهديد باستمرار بالعدوان العسكري أو العقوبات الاقتصادية أو التخريب من قبل الولايات

المتحدة وحلفائها ؛ يمكننا أن نبين للجميع الوجه الحقيقي لقادة نظام الهيمنة. وعلى جميع النخب السياسية والثقافية والدينية في كل بلدان العالم الإسلامي أن تلتزم بكشف هذه الحقائق. فهذا هو واجبنا الأخلاقي والديني جميعًا.

يجب على شعوب البلدان بكافة شرائحهم الاجتماعية أن يعرفوا بأن النظام الصهيوني كان منذ البداية ولا يزال عدوًا للمسلمين، وأن عدم ظهور هذا العدو اليوم بوجه جديد وملابس أخرى لايعني انه قد تخلى عن سلوكه العداوني. فالعدو الإسرائيلي ليس مجرد عدو مثل الأعداء الآخرين، وانما عداوته لنا كأمة مسلمة -حسب نص القرآن الكريم- أشد وأقسى. فالنظام الصهيوني في الواقع انبثق من رحم الجرائم والإبادة الجماعية وارتكب أبشع الجرائم بحق الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية. وإن السلوك الدائم لهذا النظام هو سلوك إجرامي وعدائي تجاه الأمة الإسلامية، وخاصة تجاه الشعب الفلسطيني.

ان الصهاينة لا ينظرون إلى المسلمين كبشر حقيقيين، وحتى ان أساليبهم التربوية في تربية الأبناء تقوم على أساس العداء للإسلام. ورغم الطبيعة العدوانية التي يمتاز بها الصهاينة، يحاول هؤلاء المجرمون في عمل خادع وغريب ان يرسموا صورة مختلفة عن طبيعتهم في خططهم وأساليبهم وأعمالهم الإجرامية. وبعض الأنظمة مع الاسف قد بنت وجهات نظرها على أساس الصورة التي يحاول العدو تصويرها، ومن هنا نراها تقوم وباسم الدين، بتطبيع علاقاتها وأنشطتها الإعلامية والثقافية مع العدو. والغاية من إظهار هذه الصورة المزيفة للصهاينة هو حرف بوصلة العدو عن جانبهم. فقد حاول الصهاينة توجيه بوصلة العدو في الاتجاه الآخر. والسلام المزعوم للصهاينة لا يعني سوى تنفيذ مخططاتهم ومؤامراتهم وارغام الاخرين على الاستسلام.

على صعيد اخر لا ينبغي تجاهل موضوع الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل التي يتم تخزينها على نطاق واسع في ترسانات النظام الصهيوني. فالأسلحة التي تم تخزينها في مستودعات هذا النظام الإجرامي، ليس لمواجهة الشعب الفلسطيني الأعزل

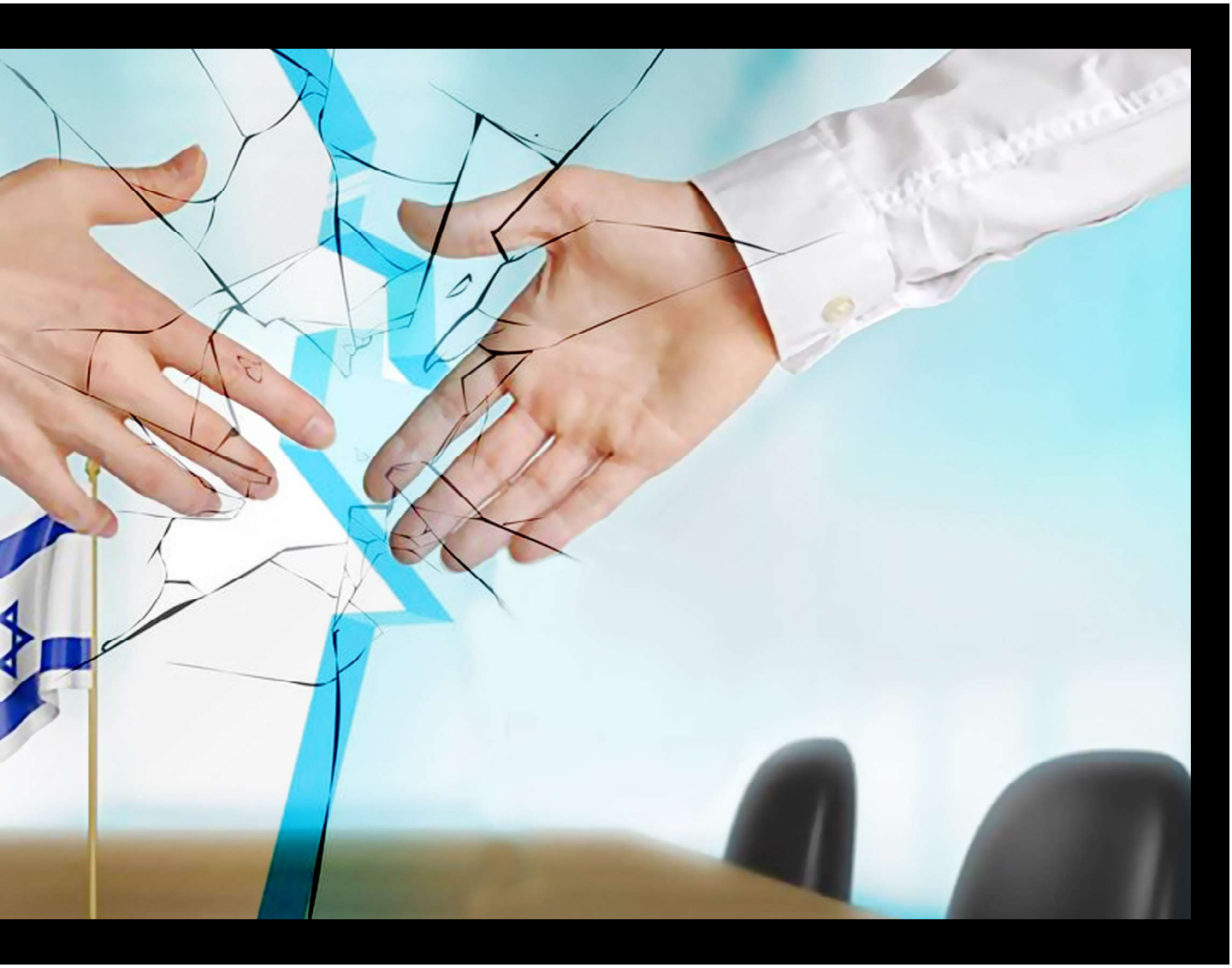

فحسب، وانما للهيمنة على العالم الإسلامي والشرق الأوسط.

تطبيع العلاقات

ان انتصار الثورة الإسلامية في إيران وتبنيها للمبادىء السامية مثل تقديم الدعم للشعب الفلسطيني المظلوم باعتباره أحد أهداف الثورة أدى إلى ظهور هذه العقلية في الدول العربية وهو أن إيران تسعى لفرض هيمنتها وتوسيع نطاق هيمنتها على كل المنطقة. وهذا الأمر دفع هذه الدول إلى اتخاذ موقف ضد إيران إلى درجة أن قضية فلسطين أصبحت مسألة ثانوية بالنسبة لهم وبالتالي تغيرت استراتيجيتهم بالتدريج من حالة المواجهة العربية لإسرائيل إلى المواجهة العربية لإيران. خلال سنوات انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، شهدت إسرائيل ضدها عدوًا عنيدًا وحاسمًا من هنا سعت إلى خلق تكتل قوي لمواجهة الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وفي هذا الصدد، قامت بمساعدة الدول الغربية من طرح مشروع الرهاب إيران ونجحت في دفع بعض الدول العربية للتحالف معها لمواجهة إيران. وطبعا هذا الامر بحد ذاته يعتبر خطة ومؤامرة قذرة لتأليب الدول الإسلامية على بعضها البعض. وإذا أردنا أن نذكر الأسباب الرئيسية لتطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل بشكل عام، فيمكننا أن نشير هنا الى عدد منها .

- عقيدة الوحدة المحيطية
- بيع الأسلحة الى الدول العربية
- نسيان قضية فلسطين
- وصول الكيان الصهيوني إلى الخليج الفارسي

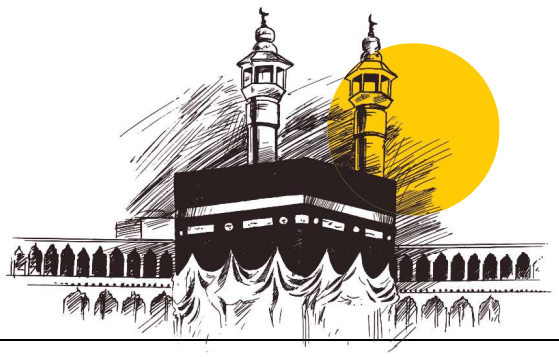

ان أهم موضوع ينبغي الانتباه اليه هو تغيير صورة الكيان الصهيوني في المنطقة. حيث نلاحظ إن تطبيع علاقات هذا النظام مع الإمارات والبحرين والسودان والمغرب في إطار "اتفاق إبراهيم للسلام" يتم متابعته وتطويره بنجاح، وفي ظل هذه العملية، ازدادت أيضًا عملية التعاون بين تل أبيب والدول الأخرى. كما أقامت تل أبيب تعاونًا مكثفًا في البحر الأبيض المتوسط ؛ وقد خرج هذا النظام حاليا من العزلة الإقليمية في المنطقة. والنظام الصهيوني يحاول حاليا تغيير رؤية مصدر التهديد ضد الدول العربية، ويتجه نحو غرس رؤية وفهم الدولة الحليفة.

واجب النخب والعلماء والإعلاميين والتوجه نحو تحقيق الحضارة الإسلامية الجديدة

ان السياسات الشريرة التي تتبعها الولايات المتحدة في المنطقة اليوم - التي تؤدي من جهة إلى الحرب وسفك الدماء والدمار والتشرد وكذلك الى الفقر والتخلف والخلافات العرقية والدينية ايضا - وجرائم النظام الصهيوني من جهة اخرى - التي اوصلت سلوك العدوان في فلسطين الى اعلى درجة من القساوة والخباثة – وكذلك الإهانات المتكررة لحرم المسجد الأقصى، وابادة أرواح واموال الفلسطينيين المظلومين وممتلكاتهم، كلها تعتبر القضية الأولى لجميع المسلمين والتي ينبغي عليهم التفكير فيها ومعرفة واجبهم الإسلامي تجاهها. ويتحمل علماء الدين والنخب السياسية والثقافية مسؤولية اكبر وأكثر صعوبة في هذا المجال، الا انه للأسف غالبًا ما يتم تجاهل هذه المسؤولية. فالعلماء بدلاً من تأجيج نيران الخلافات الدينية ورجال السياسية بدلاً من ألانفعال في مواجهة العدو، والنخب الثقافية بدلاً من الانشغال بالقضايا الهامشية، عليهم معرفة الألام الكبيرة للعالم الإسلامي وان يتحملوا المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

في هذا الصدد، يجب أن يكون هناك نقاش مستمر، وشرح، وتشجيع، وتخطيط، وتقسيم دائم للعمل، وان لا يكتفوا فقط بالاجتماعات والتجمعات سنوية. كما يجب على مسؤولوا الدول أن يتواجدوا في المراكز والمساجد والأماكن الدينية والثقافية، وان يجعلوا هذا الموضوع الهاجس الاول للناس ويطلبوا منهم التواجد المستمر والنشط في الساحة. فالبوصلة الرئيسية لوحدة المسلمين هي قضية فلسطين، وكلما ازدادت الجدية في استعادة حقوق الفلسطينيين، فان الوحدة الإسلامية ستزداد قوة وتصبح أقوى وأقوى. كما تجدر الإشارة الى هذا الأمر أيضًا وهو أن الحضارة الإسلامية الجديدة المهمة، التي هي مصدر تقدم المسلمين وكرامتهم وتعزيز مكانتهم في العالم، والتي تنبع أساسًا من الوحدة بين الشيعة والسنة ستتحقق أيضًا في ظل تعزيز هذه الوحدة بين المسلمين.

> **أن الحضارة الإسلامية الجديدة المهمة، التي هي مصدر تقدم المسلمين وكرامتهم وتعزيز مكانتهم في العالم، والتي تنبع أساسًا من الوحدة بين الشيعة والسنة ستتحقق أيضًا في ظل تعزيز هذه الوحدة بين المسلمين.**

تبيان الأدلة والوثائق العلمية والقانونية الدقيقة ودراسة معوقات المواجهة الموحدة للأمة الإسلامية مع المحتلين دعماً لفلسطين.

إن تقديم أدلة علمية دقيقة عن عدوان الكيان الصهيوني اللقيط واحتلاله للأراضي الفلسطينية هو موضوع يجب تناوله من قبل الخبراء الأخصائيون في مختلف المجالات، وعلى سبيل المثال الخبراء الأخصائيون مثل مجال القانون الدولي وكذلك المفكرين السياسيين. وعلى الرغم من مرور أكثر من ستة عقود على طرح القضية الفلسطينية والاعتراف بفلسطين في الأمم المتحدة من قبل عدد كبير من دول العالم، لا زال الشعب الفلسطيني لا يتمتع بالمزايا الكاملة لدولة مستقلة. وإحدى العقبات القانونية الرئيسية فيما يتعلق بالدعم الشامل لحقوق الشعب الفلسطيني تكمن في الفشل الموضوعي في إقامة دولة فلسطينية مستقلة.

إن حق تقرير المصير، والحق في إقامة دولة فلسطينية مستقلة، والجهود المبذولة في هذا الصدد، هي من بين القضايا التي تحتاج إلى شرح مناسب. العناصر الأساسية لتشكيل دولة جديدة من وجهة نظر القانون الدولي، وهي الأرض والسكان والسيادة والقدرة على إبرام المعاهدات والاتفاقيات، هي من الأمور التي يمكن أن يساهم فيها اخصائيو القانون في إقامة دولة فلسطينية مستقلة من خلال تقديم الوثائق والأدلة العلمية. كما ينبغي على أصحاب الرأي والخبراء في هذا المجال أيضًا معرفة وتحديد التحديات الأساسية لتحقيق العناصر الأربعة المذكورة أعلاه، والتي تشكل العقبة الرئيسية أمام تحقيق دولة فلسطين على ارض الواقع.

إن حق تقرير المصير وإقامة دولة فلسطينية مستقلة هو جزء من الحقوق البديهية للشعب الفلسطيني، وهو حق أكدته الجمعية العامة ومجلس الأمن مرارًا وتكرارًا. ومع ذلك، لم يتم إحراز أي تقدم ملموس في تشكيل دولة فلسطينية، كما فشلت آليات الأمم المتحدة الحالية في السنوات الأخيرة في احقاق الحقوق المنتهكة والمهدورة للفلسطينيين. على الرغم من توافر العناصر الاساسية الثلاثة يعني الأرض والسكان والسيادة في فلسطين والتي تتطابق مع المعايير القانونية الأساسية الاولية، إلا أن هذه العناصر لازالت غير مكتملة وتواجه تحديات خطيرة، بما في ذلك احتلال أجزاء من الأراضي الفلسطينية من قبل النظام الصهيوني. اما من الناحية السياسية، فإن العقبة الرئيسية هي عدم رغبة إسرائيل الحقيقية في الالتزام بمتطلبات تشكيل واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. لذلك، من الضروري تحدي التيارات ودوائر السياسة والسلطة في قبول دولة فلسطينية مستقلة، وذلك من خلال اتباع منهج علمي في البداية ومن ثم من خلال تقديم الوثائق القانونية في الدوائر والمحافل القضائية الدولية.

> **ان أهم موضوع ينبغي الانتباه اليه هو تغيير صورة الكيان الصهيوني في المنطقة. حيث نلاحظ إن تطبيع علاقات هذا النظام مع الإمارات والبحرين والسودان والمغرب في إطار "اتفاق إبراهيم للسلام" يتم متابعته وتطويره بنجاح، وفي ظل هذه العملية، ازدادت أيضًا عملية التعاون بين تل أبيب والدول الأخرى.**

سبل الحل العملية والأساسية التي تعتبر من أبرز دروس الحج

إن وحدة وأخوة المسلمين تحت لواء التوحيد ومعرفة العدو ومواجهة مخططاته وأساليبه تعتبر من سبل الحل العملية والأساسية لحل مشاكل المسلمين وفي مقدمتها القضية الفلسطينية. وتقوية وتعزيز روح الأخوة والتعاطف تعتبر من الدروس الكبيرة للحج. فحتى الجدال مع الاخرين ممنوع في أيام الحج. والملبس الموحد وممارسة أعمال وطقوس موحدة والسلوك الطيب في أيام الحج تعني المساواة والأخوة بين كل الذين آمنوا بكانون التوحيد هذا بجميع جوارحهم. وفق ألأحاديث والروايات والآيات يعتبر الدفاع عن المظلوم من واجبات كل مسلم. ولهذا السبب اطلق الإمام الخميني(رضوان الله عليه)، بعد عام من انتصار الثورة الإسلامية، على الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك. يوم القدس ويوم الدفاع عن المسلمين المظلومين في فلسطين ونحن بدورنا مكلفون أيضًا –بكل ما اوتينا من قوة- بالنهوض من اجل الدفاع عن مسلمي فلسطين العزل وعن أي شخص مضطهد ومظلوم آخر في أي مكان في أنحاء العالم. أخيرًا، هناك فرق كبير بين الجيش الذي لا يقهر والإرادة التي لا تُقهر. فالإرادة التي لاتقهر هي الإرادة التي ترفض الهزيمة في كل الظروف وتحاول دائما ان تحقق النصر. اما الجيش الذي لا يقهر فهو تنظيم هيكلي يتعرض للهزيمة والفشل مع مرور الوقت وعند انخفاض حجم الامكانيات والدعم. ومن هنا فإن إرادة الأمة الإسلامية التي لا تقهر تستطيع أن تهزم أي جيش وأي قوة بكل مالديها من قوة وأسلحة وتقنية.